الاستاذ فركو

PROF. VIRCOW

في الثالث عشر من هذا الشهر اتمَّ الاستاذ فركو الالماني السنة الثمانين من عمره . عمرٍ قضاهُ في توسيع نطاق المعرفة وتقرير قواعد العلم وافادة نوع الانسان ومقاومة آثار الاستبداد فاحتفلت الامَّة الالمانية بذلك وشاركها في هذا الاحتفال نوَّاب الجمعيات الطبيَّة والعلميَّة من اقطار المسكونة وكتب اليهِ امبراطور الالمان يقول

" في هذا اليوم الذي مُنِحتَ فيهِ بنعمة الله ان تتمَّ السنة الثمانين من عمركَ وانتَ في تمام النشاط العقلي والجسدي أُعربُ لكَ عن تهنئاتي القلبية وما ارجوهُ لك من السعادة الدائمة. انَّ علم الطب مدينون لكَ لانكَ قضيتَ عمركَ في البحث فيهِ واكتشفت اموراً مهمَّة لذاتها وقد قادت الى اكتشافات اخرى فرسخ اسمك في صفحات تاريخ الطب مدى الادهار وأُكرم في بلادك وفي كل الاقطار والامصار . وفوق ذلك جدتَ بمعارفك الطبية واختبارك الواسع في السلم والحرب لخدمة نوع الانسان وكنتَ دائماً الطبيب الامين والمعين الصادق . وقد منحتك الآن نشان العلم الذهبي العظيم علامةً لشكري لك واعترافي بفضلكَ واني اسرُّ بارسالهِ اليك في هذا اليوم الذي يحتفل فيهِ بعيدك "

هكذا يخاطب ملوك اوربا علماءها ومثل هذا الاكرام يكرمونهم . والناس على دين ملوكهم . فقد احتفل رجال الدولة الالمانية وعلماؤها ونوَّاب الجمعيات العلمية بهذا العيد احتفالاً نادر المثال اعربوا بهِ عن اكرامهم للعلم والعلماء اكراماً يقرب من العبادة

والرجل الذي احتفلوا بعيدهِ من اصل وضيع مثل كل العصاميين واكثر المشهورين ولد في الثالث عشر من اكتوبر سنة ١٨٢١ وابوهُ فلاَّح صغير من قرية من قرى المانيا . ودرس

في مدرسة قريتهِ ثم في مدرسة كسلن العالية وانتقل منها الى برلين في طلب الطب فنال الشهادة الدكتورية وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة وجعل مساعداً لاستاذ التشريح في مستشفى الرحمة . وفشت حمى التيفوس بين الحاكة في جبال سلسيا على اثر مجاعة فأُرسل للبحث عن سببها فبحث وكتب تقريراً مدققاً كان لهُ وقع عظيم وهو الذي جعلهُ يسير في الخطة التي سار فيها علماً وسياسةً فعكف على درس الامراض الباطنة وصار من احرار الالمان . الا ان مذهبهُ السياسي قضى بحرمانهِ من منصب التعليم الذي كان فيهِ في مدرسة برلين فخرج منها ودعي الى مدرسة ورزبرج الجامعة فوضع وهو هناك اساس الباثولوجيا الخلوية واثبت ان الانسجة التي تعتريها الامراض تتولَّد فيها خلايا مريضة او سليمة من خلايا اخرى مثلها كما تتولَّد سائر انسجة النبات والحيوان من الخلايا . فعرف سير الامراض واساليب انتقالها فقام باستور وكوخ واكتشفا اسبابها ظنَّ اولاً ان اكتشافهما مناقض لاكتشافهِ ثم ثبت انهُ مؤيد لهُ الواحد يدل على سبب المرض والثاني على اسلوبهِ وحقيقتهِ . فاشتهر اسمهُ واشتهرت بهِ مدرسة ورزبرج حتى صارت اشهر المدارس الطبية فاعيد الى مدرسة برلين سنة ١٨٥٦ لان ميدان العمل فيها اوسع فبحث وحقَّق وجمع ودقق وكلَّل اعمالهُ بانشائهِ المعرض الباثولوجي قرب مستشفى الرحمة ولا يزال في مقدمة الباحثين عن حقيقة الامراض ومن اعمق الناس نظراً واشدهم فراسةً واصدقهم حكماً

ولهُ مشاركة في علوم أُخرى فهو من المشهورين في علم الاثنروبولوجيا اي علم الانسان واليهِ انتهت رئاسة الجمعية الباثولوجية وقد كتب عن سكان الكهوف وسكان الخصاص التي كانت قائمة على الاوتاد في بحيرة جنيفا في العصور الغابرة . ويعدُّ بين ارباب السياسة وهو زعيم الاحرار في مجلس النواب منذ سنة ١٨٦١ وقد رأس اللجنة المالية ٢٥ سنة وهو الذي نظَّم المالية البروسية . وناب عن قسم من برلين من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٩٣ . ولهُ مناظرات شديدة مع بسمارك وقد دعاهُ بسمارك مرةً للمبارزة لشدَّة ما اغاظ منهُ لكن اصدقاءهما اصلحوا بينهما فلم يتبارزا بالسلاح . وبقي ٤٢ سنة في مجلس برلين البلدي واليهِ يُنسب اصلاح تلك المدينة فقد كانت افسد المدن هواءً واقلها صحَّة فصارت الآن اصح المدن هواءً واجودها صحَّة واجرى امرابها الى ما حولها من القفار القاحلة فصيَّرتها رياضاً نضرة . ومستشفيات برلين الصحية الآن مثال يقتدى بهِ في الانتظام والاتقان لهُ الفضل الاول واليد الطولى في تنظيمها واتقانها . ولهُ مدينة برلين مديونة اكثر مما هي مديونة لرجل آخر

اما الاحتفال بعيدهِ فنقتطف وصفهُ مما جاء في جريدة التيمس قالت : ابتدأ الاحتفال

في دار الباثولوجيا فقدّم اليهِ اولاً تمثالهُ مصنوعاً من الرخام لينصب في تلك الدار ووقف حولهُ حينئذٍ وزير المعارف ورئيس الوزارة الامبراطورية ووزير الخارجية ووزير الداخلية ووزير التجارة ووزير المخابرات ورئيس اطباء الجيش ومحافظ برلين ورئيس مجلسها البلدي وكثيرون غيرهم . وخاطبهُ وزير المعارف معرباً عن الفرح والفخر اللذين شملا ذلك الجمع في تهنئتهِ وهو قائم في وسط هذا المعرض الباثولوجي المنقطع النظير . وقال ان اسم فركو يبقى مدى الدهر مقروناً بمكتشفاتهِ وما وسّع بهِ نطاق العلم ولكن اهالي العصور التالية يودون ان يروا مثال الرجل الذي بنى هذه الدار ولذلك فوزارة المعارف تهدي هذا التمثال الى مديرها علامة على شكرها ورغبةً في ان قدوة منشئها العظيم تحيي نفوس الذين يطلبون العلم فيها

فاجابهُ الاستاذ فركو شاكرًا وكان رجال العلم في برلين ونواب الجمعيات والمدارس العلمية قد اجتمعوا في النادي الكبير في الطبقة العليا من الدار ليسمعوا خطبتهُ فصعد اليهم فقابلوهُ بالهتاف الشديد حتى اذا سكنت اصواتهم خطب فيهم خطبة وجيزة جاء فيها على خلاصة تاريخ الباثولوجيا من غير ان يشير الى ما لهُ من الايادي البيضاء في اصلاح هذا العلم . واستطرد الى فعل داء السل وبيّن بالامثلة الكثيرة ان ميكروبهُ يميت الاجزاء التي يصيبها فتفرز من الجسم ولا يعود في الامكان ان ترجع الى ما كانت عليهِ ولذلك يستحيل ان يشفى الانسان منهُ شفاءً تامًّا ما لم يقع فيهِ التكلُّس . وقد يبرأ العضو المصاب ولكن يبقى مكان الاصابة مؤوفا لا يتجدّد ويبقى العضو ناقصاً الجزء الذي تلف منهُ وزال . واذا زال الميكروب كلهُ ولم يأت غيرهُ وقف الضرر عند ذلك الحد

وعُرضت حينئذٍ صور ميكروب السل والانفلونزا والكوليرا والتيفويد بالفانوس السحري وسار الاستاذ فركو بالمدعوين الى غرفة الميكرسكوب حيث كان الاستاذ كوخ والاستاذ لوفن فاراهم ميكروبات الملاريا . وعادوا من هناك الى تناول الغداء

واولمت لهُ وليمة فاخرة في المساء في غرفة كبيرة من غرف مجلس النواب حضرها مع زوجتهِ واعضاء عائلتهِ ونخبة الوزراء والعلماء ثم انتقلوا الى نادٍ كبير من اندية ذلك المجلس حيث قدمت لهُ الخطب من حكومة المانيا ومجلس بلدية برلين ونواب المدارس والمجامع العلمية وكانت لجنة الاحتفال قد جمعت خمسين الف مارك ليوقف ريعها على البحث العلمي تذكارًا لاسمهِ فقدمت لهُ وسميت مال فركو وحينئذٍ وقف وزير المعارف وتلا الرسالة الامبراطور التي ذكرناها آنفاً وتليت رسائل أُخرى من دوق مكلنبرج ووزير الامبراطورية الالمانية ولما تليت رسالة المجلس البلدي اذا معها هدية مئة الف مارك لتضاف الى " مال فركو " . وكان بين النواب

الاجانب السنيور باشلي وزير التجارة في ايطاليا والمسيو كورنيل من اعضاء مجلس الشيوخ في فرنسا وغيرهم من روسيا والنمسا والدنمارك واسوج ونروج وسويسرا . وارسلت انكلترا اللورد لستر الجرّاح الشهير والسر فلكس سيمون وغيرهما من كبار اطبائها

وللاستاذ فركو كثير من الكتب العلمية منها كتاب علم الباثولوجية الخلوية وحمى المجاعة وحرية العلم والامراض المعدية في الجيش والفحص الرمي ومقالات شتى في جرائد الطبية

مناجم مصر والسودان

ذاكر بعضهم المهندس ثيال لس الفرد مدير قسم الهندسة في شركة البحث عن المناجم المصرية فاعرب لهُ عن غنى هذه القطر بالمعادن مصداقاً لما ذكرهُ الاستاذ سايس واشرنا اليهِ قبل الآن وهو ان قدماء المصريين كانوا يستخرجون الذهب الكثير من بلادهم ولم تزل مناجمهم الى الآن في الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الاحمر . ومما قالهُ المهندس الفرد في هذا الصدد ان قطع الحجر التي قطعوها الآن من تلك المناجم وجدوا فيها كثيراً من الذهب ١٩ درهماً في الطن والمرجح انها ليست من العروق الكثيرة الذهب التي كان المصريون القدماء يستخرجون الذهب منها . و١٩ درهماً في الطن ليست بالشيء القليل كما بلغنا ممن يوثق بكلامهم في هذا الموضوع لكن المهندس الفرد يظن ان العروق التي ذهبها اكثر من ذلك لا تزال كثيرة لان المصريين القدماء لم يستنزفوا ثروة الارض لضعف وسائطهم ولانهُ وجدت هناك قطع في الطن منها نحو ١٢٠ درهماً من الذهب . وسئل عما اذا كان الماء كافياً بقرب المناجم او لا بدَّ من الماء الغزير لتصويل الذهب بعد سحق حجارته ويتعذر نقل الحجارة الى مكان بقرب الماء الغزير فاجاب ان القدماء حفروا آباراً كثيرة ثم طوت اما عمداً واما عرضاً ونحن نحاول في حفرها ثانية ونشارع ايضاً في انشاء حوض كبير طولهُ اربعون قدماً وعمقهُ ١٢ قدماً يجمع فيهِ ماء المطر فيسع اربع مئة الف جالون من الماء

وسئل عن مناجم السودان ووجود الذهب فيها فقال ان الصخور المتبلورة التي في الصحراء الشرقية بين قنا والبحر الاحمر ممتدة حتى بلاد الاحباش والذهب موجود فيها حتماً ولكن اتساعها وعمقها يختلفان كثيراً فاما ان تكون ظاهرة على وجه الارض واما ان تكون مغطاة بالرمال والحصى وكيف كانت فالبحث يظهرها وهي حرية بالبحث والاستقصاء وقد بعث بيت يوحنا تيلر وشركائهِ بالمهندسين الى السودان للبحث عن معادنها